القوى الوطنية والتقدمية تثبت وجودها في المعركة الانتخابية وتؤكد أن التغيير الجذري يحسم خارج البرلمان

بانتهاء المرحلة الثالثة والاخيرة من المعركة الانتخابية ، لا بد من القاء نظرة اجمالية على النتائج التي املتها تلك الانتخابات من ناحية، وتحديد مواقع الحركة الوطنية في صراعها مع اليمين، الجديد والتقليدي وبالخصوص بعد ان القت الحركة الوطنية بكل ثقلها في الساحة الانتخابية ، السبب الذي بدل الكثير من المواقع وبالتالي من النتائج وان لم تكن تلك النتائج قد سمحت للكثير من المرشحين التقدميين الوصول الى المجلس النيابي .

ومن الطبيعي القول ان الحركة الوطنية ، من خلال التصريحات العديدة ومن خلال البيانات التي صدرت عن الاحزاب والقوى التقدمية ، كانت واضحة في رؤياها لابعاد هذه المعركة الانتخابية وحددت اسباب خوضها المعركة اذ ان النضال البرلماني بنظر الحركة الوطنية لا يشكل سوى الوسيلة الملائمة في المرحلة الحالية للتشهير بالنظام الاقطاعي الكومبرادوري وللمساهمة في فضح اساليب الطبقة الحاكمة واستغلالها للجماهير الكادحة ، فالنضال البرلماني اذن لا يشكل الطريق الوحيدة لتغيير النظام الحالي، ولا يشكل بديلا للاسلوب الثوري الذي يؤمن وصول الطبقة الكادحة الى الحكم ، بل ان المواجهة الحقيقية تجاه نظام الـ ٤٪ تكون من خلال النضال الطبقي ومن خلال نضال الجماهير الكادحة التي اخذت تتنظم بشكل فعال ، وهذا ما اثبتته المعركة الانتخابية ، في كافة الاتحادات والاحزاب والقوى التقدمية وهذا ما يعمق في الحقيقة صلات تلك القوى بالجماهير اللبنانية كافة ، ويمهد التمهيد الصحيح لخوض المعركة الحاسمة

وبالفعل ، كانت نتائج المراحل الانتخابية الثلاث خير دليل على عمق الصلة بين الجماهير والتنظيمات التقدمية والوطنية ، وان كان من واجب الاحزاب والقوى ان تنطلق بزخم اشد نحو تعميق الصلة بالجماهير مستفيدة من نتائج المعركة الانتخابية .

■ من المعلوم ان الحركة الوطنية اللبنانية خاضت المعركة البرلمانية ، كمعركة اثبات وجود جماهيري وشعبي بعد السلسلة الطويلة من التصريحات والتشكيكات التي ادلى بها المسؤولون حول قوة الحركة الوطنية ودورها وفعالية هذه الحركة ، وكان من الطبيعي ان تنتبه الحركة الوطنية لذلك وخاضت بالفعل المعركة بكل امكانياتها ، بغض النظر عن بعض الخلافات الثانوية التي لم تمكنها من توحيد صفوفها كاملة ، خاضت المعركة في الجامعة اللبنانية وحققت بها نصرا ساحقا على اليمين المتمثل بجناحي « الوعي » ثم انتقلت في تحديد ووضوح تامين الى المعركة الانتخابية حيث ، من دون اية مزايدات ، حققت فيها انتصارات مبدئية لا باس بها وخاصة في هذه المرحلة ، مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي حيث يفترض التحالف مع قوى وطنية لضرب اليمين الفاشي المتمثل بالشمعونيين وبالكتائبيين وبعض الاقطاعيين المستفيدين من الاموال الاجنبية والنفطية لقاء الخدمات التي يؤدونها للاحتكارات الخارجية .

■ واذا كانت الحركة الوطنية قد حققت مكسبا مهما بانبات وجودها في اغلب الدوائر الانتخابية، فانها حققت مكاسب ملحوظة اخرى في الشوف وطرابلس وعاليه وصور ، وحصلت على اصوات كثيفة في العديد من الدوائر ، في طرابلس وفي مرجعيون ـ حاصبيا والجنوب عامة ، السبب الذي اذهل بعض المسؤولين الذين بدافعون عن النظام الطائفي والتحالف الطبقي الحاكم . وهذه النتيجة فرضت على اولئك المسؤولين التخفيف من تصريحاتهم التهجمية بعد ان احسوا بضغط القوى الجماهيرية ، ولكن مع هذا كله نعيد القول بان الحركة الوطنية هي في بداية معركتها النضالية وليس غريبا ان يصل العديد من الوجوه الطائفية والاقطاعية الى المجلس النيابي نظرا لطبيعة النظام الحالي وخصوصا النظام الانتخابي .

ومع بداية نزولها الى ساح النضال البرلماني ، اصبح من المتوجب ان تخوض القوى التقدمية معركتها على جبهتين : جبهة المجلس اي فضح وتشهير النظام الاقطاعي الكومبرادوري من خلال وسائل الاعلام ، والجبهة الاخرى التي لا بديل لها هي المواجهة الطبقية النضالية الحاسمة مع قوى الاقطاع والطغيان .

وليس من الغريب القول بان جبهة الحركة الوطنية في المجلس المقبل ستستطيع تحقيق الكثير ان هي اعتمدت على برامج واضحة تستطيع منها النفاذ الى ما تصبو اليه في ضرب الاقطاع السياسي والاقتصادي الفوضوي والاحتكاري .

■ ورغم بداية المعركة التي تخوضها الحركة الوطنية ، فان اليمين التقليدي الفاشي قد شهد انحسارا ملحوظا في صفوفه وان لم يكن يؤثر كثيرا في جبهته (الشماعنة والكتائب) ، وبالاخص في معقله الرئيسي في جبل لبنان حيث سقطت لوائحه في الشوف وعاليه واستطاعت القوى التي دعمتها الحركة الوطنية ان تفتت قوى الحلف الطائفي وان يصل بعض مرشحيها الى المجلس النيابي ، ومع هذا كله ، وبرغم كون المعركة ، كما يريدها النظام بحلفه الطبقي الحاكم ، معركة تقليدية تخوضها زعامات لبنانية، فان المعركة انتقلت هذه المرة من كونها معركة زعامات الى بداية معركة وطنية ، الى صراع كما قالها رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي كمال جنبلاط في حديث له مع مندوبي الاذاعة والصحف ووسائل الاعلام : « ان هذه المعركة التي نخوضها هي معركة بين قوة وطنية تقدمية تتخذ من المعركة الانتخابية ومن النضال الجماهيري خارج المجلس ادوات لتغيير هذا النظام ، هذه المعركة هي بين قوى وطنية وبين قوى رجعية طائفية تعتمد معلوماتها من السعودية والاميركان وان كل انتصار تحققه القوى الوطنية هو انتصار للديمقراطية والحرية والاشتراكية » .

من هنا ، من بداية تحول من هذا النوع في المعركة الانتخابية ، من معركة زعامات الى معركة مبادىء وجماهير وطنية اصبحت معركة الشوف معركة وطنية وتحولت بالتالي الى معركة لبنان والقوى الوطنية كلها والانتصارات التي حققتها القوى الوطنية المتحالفة هي انتصارات للجماهير الوطنية ودفع للنضال الى الامام .

ليس هذا فحسب ، بل ان المعركة الانتخابية في كل الدوائر الانتخابية وان لم يكن ذلك واضحا بشكل جيد ، قد اخذت طابع الصراع بين اليمينية وبين التقدمية التي تتمثل بالحركة التقدمية والوطنيين والقوى المتعاونة والمتحالفة معهم او التي دعمتهم القوى التقدمية ، اذ ان المعركة في الجنوب كانت واضحة جدا من تحالف القوى الوطنية والتقدمية في وجه الزعامات الاقطاعية والاصوات التي نالتها القوى الوطنية والتقدمية كانت خير دليل على ذلك وخاصة بروز حبيب صادق كمرشح تقدمي في وجه الزعيم الاقطاعي كامل الاسعد . ففي حين كانت انتخابات الجنوب تجري بين زعامات تقليدية فقد خرجت هذه المرة عن اطارها المالوف لتكون معركة بين اقطاع وتقدم مما سبب نزول ازلام الاسعد بكل ما يملكونه من وسائل ارهاب لردع كل من ينتخب المرشحين التقدميين .

ومع تحول الحركة التقدمية اليسارية الى التحالف مع كل الوطنيين ومع بعض القوى الاخرى التقليدية لضرب تحالف الاقطاع والبورجوازية التجارية ، وقعت هذه القوى الاخيرة في البلبلة والتفتت بفعل عدم وضوح رؤياها السياسية واعتمادها ، كما فعل شمعون في دير القمر ، على الطائفية ولكن ذلك لم يقع بديلا ان اللائحة الوطنية في الشوف حصلت على ما يقرب ٢٢٪ من الاصوات المسيحية . ولاول مرة اثبتت القوى التقدمية والوطنية قوتها واستطاعت بفعل تحالفها ان تلقي الخلافات وتشجعها كما حصل في عاليه حيث اختلفت الجماعات اليمينية نتيجة تسابقها نحو الحكم وكانه يعتبر وسيلة لتحقيق المزيد من المكاسب للاقطاعيين والطائفيين، وفي جبيل حيث دعمت لائحة الكتلة الوطنية لضرب فلول النهج وفي كسروان والمتنين دعمت اللوائح المناهضة للحلف الطائفي الاقطاعي ونجحت بذلك في تفتيته وفي ضرب بنيته اليمينية .

وامام موقف الحركة التقدمية ونزولها الى المعترك الانتخابي ، لم يكن بدا من ان تقف حكومة صائب سلام موقف المتفرج من ذلك كله ، وبدا التدخل في تركيب اللوائح وفرضها لتفويت الفرص امام تحالف بعض القوى مع الحركة التقدمية ، او منع هذه القوى ذاتها من تاليف لوائح قوية تكون لها نسبة عالية من النجاح كما حدث في طرابلس ، حيث ميعت الدولة قضية ترشيح نقولا الشاوي الامين العام للحزب الشيوعي ثم سعت لتشكيل لائحة رابعة ، وبذلك تامن لها عدم تحديد المعركة في طرابلس وكانها بين حركة تقدمية وطنية وبين قوى اقطاعية عشائرية ، بل وكان المعركة هي بين قوى وزعامات تقليدية . وفي عكار فرضت مرشحها على اللائحتين لتصوير القضية وكان العهد بعيد عن المنافسة وهو على الحياد التام ، ومن ثم اوعزت الى العلي عدم الائتلاف مع العثمان وذلك لقضيتين : اولا تصفية بعض القضايا المزمنة بين زعامات تقليدية ، وثانيا بقاء لائحتين تقليديتين في الساحة لعدم السماح لبروز لائحة اخرى وطنية تستطيع مضايقة اللائحة الائتلافية وتعبر عن الحس الوطني للجماهير العكارية . ودليل اخر على التدخل ، اغراق منطقة بعلبك ـ الهرمل باللوائح لتمييع القوة الوطنية في المنطقة ، وضغطت الدولة وحتى حسونة من الجامعة العربية على اسعد الاسعد منافس الاسعد التقليدي في منطقة مرجعيون ـ حاصبيا لكي لا يتحالف مع الحركة التقدمية والوطنية لتاليف لائحة تستطيع تهديد لائحة الاسعد الزعيم التقليدي .

واذا اتضح تدخل الدولة في تاليف اللوائح ، فان التدخل كان واضحا في بعض المناطق : ففي بالدولة كان ظاهرا في مرجعيون ـ حاصبيا وكان الوجود العسكري لزعم كامل الاسعد ظاهرا وما قاله رؤساء الاقلام حول ذلك في مرجعيون وحاصبيا كان الدليل على تدخل الحكم لصالح احد ارباب النظام والاقطاع ، عدا الرشوة والاموال التي دفعها اصحاب الاقطاع والتجار والاحتكار ، حتى ان الصحف اشارت الى يوم انتخابات الجنوب والبقاع وكانه يوم اللبرات والدولارات العظيم !

لقد اثبتت القوى الوطنية وجماهيرها في هذه المعركة انها مؤهلة لان تكمل دورها في النضال الوطني، ومن دون شك ان تاثير النتائج الانتخابية على المرحلة القادمة سيملي على الحركة الوطنية تحديد دورها وتعميق صلاتها بالجماهير لوقف المد اليميني الرجعي . وبذلك تكون الجماهير قد احست وعرفت مدى خطر المد اليميني ومدى سيطرة الاحتكار على مصالحها الحيوية ، وبذلك تكون قد دفعت من خلال نضالها في المجلس وخارجه ، دفعت نفسها الى المواجهة الحقيقية في المعركة التي اثبتت وجودها فيها ، المواجهة الطبقية الحاسمة من خلال الممارسات السياسية والنضالية والتثقيفية ، والى جانب ذلك كله : التنظيمية .